# من طهران إلى تكساس.. حكاية خيط هزم جبروت الكاوبوي

الوفاق
د. أكرم شمص

في زمنٍ تتقد فيه الساحات وتتعالى فيه لغة السلاح، خرج الكاوبوي الأمريكي، مزهوًا بقوته، متسلحًا بترسانته، يظن أن من يملك النار يملك القرار. سعى أن يفرض شروطه على الجميع، يروّض الأمم بالإغراء حينًا، وبالتهديد أحيانًا، حتى لم يبقَ له من أعدائه إلا من لم تنحنِ له جبهته.

وهناك، في الزاوية التي حسبها خافتة، جلس "حائك السجاد"، نسّاج حضارة، وصانع معادلات لا تُفكك بالبوارج ولا تُفهم بالعنجهية. كان ينسج من صبره قوة، ومن تراثه مقاومة، ومن شعبه سِترًا لا يُخترق. لم يُرعد ولم يهدد، بل صمت واشتغل، وكل خيطٍ في سجادته كان رسالة، وكل لونٍ موقف، وكل عُقدةٍ وعد.

وحين احتدمت لحظة المواجهة، لم يلوّح الحائك بسيف، بل أخرج الرسائل، تلك التي وصلته من الكاوبوي ذاته: وديّة، متوسلة، تبحث عن مخرج يحفظ ماء الوجه، موقعة باسم "ترامب"، محمّلة بعبارات التفاهم والتفاوض، وكأن من كان بالأمس يُهدد، بات اليوم يرجو.

في تلك اللحظة، عرف الناس الجواب: من يقف مع الحائك؟ الله أولًا، وشعبه، وأحبّاؤه في الشرق والغرب، أولئك الذين يرون في السجادة علمًا وفي الخيط صبرًا وفي التصميم معركة. ليسوا مستثمرين في الحروب، بل مستثمرين في الكرامة.

أما الكاوبوي، فقد أدرك أن القوة لا تكمن في عدد الطائرات، بل في صلابة الموقف، وأن "الضعيف" لا يُرجى، ولا تُرسل إليه رسائل الرجاء. فكيف إذا كان الحائك، هو من نسج ببطءٍ طريق النصر، وصاغ بالكرامة معادلة الردع؟

حين دخل "رجل الكاوبوي" الأميركي إلى غرفة المفاوضات، لم يجد أمامه خصمًا ضعيفًا كما تخيل، بل واجه حائك سجادٍ فارسي صبور، يحفظ كل خيوط اللعبة بإتقانٍ موروثٍ من حضاراتٍ عريقة، ويعرف متى يشدّ الخيط ومتى يرخي العقدة.

جولة المفاوضات الأولى بين إيران والولايات المتحدة في مسقط لم تكن مجرد نقاش نووي تقني، بل كانت بروفة علنية لانقلاب في لهجة واشنطن، التي انتقلت، من تهديدات صريحة بالضربة العسكرية إلى اعتراف ضمني بضرورة التفاوض، ومن اشتراط تفكيك البرنامج الصاروخي إلى القبول بحصر النقاش بالملف النووي فقط.

### التراجع الأمريكي.. الرسالة التي لم يقرأها الكاوبوي

كان دونالد ترامب، خلال ولايته الأولى، رأس الحربة في انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي عام ٢٠١٨، وبطل رواية "الضغوط القصوى". اليوم، وفي ولايته الثانية، يعود إلى الطاولة ذاتها، ولكن هذه المرة بهيئة أقل عنفًا، وأكثر واقعية.

التحول في النبرة الأميركية — التي وصفها الإعلام الرسمي الإيراني بأنها "إيجابية وبنّاءة" — لم يأتِ من فراغ. فالمأزق في أوكرانيا، وتراجع الهيمنة على محور المقاومة، وتصدعات التحالفات الغربية، جعلت من الحوار مع طهران خيارًا اضطراريًا لا ترفًا استراتيجيًا. أما التهديد بالضربة العسكرية الذي تكرر أكثر من مرة في الأشهر الماضية، فلم يُرهب الإيرانيين بقدر ما عرّى هشاشة الخطاب الأميركي أمام الردع المتعدد الجبهات من اليمن إلى لبنان.

### تخبط العدو الصهيوني.. الضربة التي لم تأتِ

في المقلب الآخر، يقف العدو الصهيوني اليوم مذهولاً أمام مشهد التفاوض. فكل الرهانات التي بُنيت على إمكانية فرض "النموذج الليبي" على إيران قد تبخرت في هواء مسقط. ورئيس وزراء العدو بنيامين نتنياهو، الذي لطالما دفع واشنطن نحو مواجهة مباشرة مع طهران، فوجئ بحصول لقاء، وإن كان عابرًا، بين عراقجي وويتكوف. أما الصحافة العبرية، كانت عناوينها الإحباط والتحذير من "انتصار السجاد على البارود".

صحيفة "إسرائيل هيوم" اعتبرت أن نتنياهو هو الخاسر الأكبر، بينما حذّر خبراء صهاينة من أن إيران استطاعت فرض قواعد اشتباك تفاوضية، رفضت فيها ربط الملف النووي بقدراتها الصاروخية، أو بعلاقاتها مع حلفائها الإقليميين، وأجبرت واشنطن على قبول هذه القواعد.

### السجاد الإيراني.. عقدة فوق عقدة

في تقاليد حياكة السجاد الإيراني، لا تُترك أي عقدة للصدفة. كل خيط موضوع بدقة، وكل لون له دلالة، وكل مساحة تحمل سردية ما. وهذا تمامًا ما فعلته طهران في مسقط. فالإصرار على أن تكون المفاوضات غير مباشرة، والإصرار على أن تُعقد في عُمان، والإصرار على حصر النقاش بالنووي والعقوبات فقط — كلها كانت رسائل واضحة: طهران لا تفاوض من موقع ضعف، ولا تقبل بلغة الابتزاز.

ثمّة سرديتان تصطدمان هنا: الأولى أميركية تقوم على "الكاوبوي" الذي يحسم الأمور بالقوة، والثانية إيرانية تجيد كسب الوقت، وإدارة الرموز، والبناء البطيء على الأسس الصلبة.

### ما بعد مسقط.. وخطاب السيد القائد الإمام الخامنئي هل تعود العجلة إلى الدوران؟

أجواء اللقاء الأول، التي وُصفت بالبناءة"، ليست ضمانة لنجاح كامل، لكنها كشفت هشاشة الخطاب التهديدي لواشنطن، وعرّت عجز تل أبيب عن التأثير على مسار التفاوض.

الجولة الثانية، المقررة في ١٩ نيسان/أبريل، ستكون اختبارًا أكبر، خاصةً في ظل صعود التصريحات الإيرانية عن "الجهوزية القصوى"، وتأكيد الإمام السيد علي الخامنئي على أن التقدم الإيراني يثير غيظ الأعداء، وأن الجهوزية ليست فقط تسليحية بل أيديولوجية وعقائدية أيضًا.

في خطابه بتاريخ ١٣ نيسان/أبريل ٢٠٢٥، وجّه آية الله العظمى السيد علي الخامنئي رسائل استراتيجية في توقيت بالغ الحساسية، حيث تتزامن مفاوضات مسقط مع محاولات أمريكية لتحجيم القدرات الدفاعية الإيرانية وربط رفع العقوبات بملفات تتجاوز النووي. أكد الإمام أن القوات المسلحة ليست فقط أداة دفاع، بل "حصن البلاد وملاذ الشعب"، مشددًا على أهمية "الجهوزية الشاملة" بشقيها العسكري والروحي. وقد أعاد التذكير بأن مصدر القوة الحقيقي هو في الإيمان بالنهج الإسلامي الثوري، وليس في التنازلات الدبلوماسية، وأن الحفاظ على الهوية هو خط الدفاع الأول أمام الضغوط الخارجية والمعركة النفسية والإعلامية. رغم عدم التطرق المباشر للمفاوضات، فإن الخطاب حمل رسائل غير قابلة للتأويل لواشنطن: إيران لن تفاوض تحت الضغط، ولن تقايض كرامتها الوطنية بوعود غربية. كما أظهر التماهي الكامل بين القيادة السياسية والعسكرية عبر تأكيد رئيس الأركان على دعم القوات المسلحة لنهج الدولة وشعار العام، في مشهد يعزز من وحدة القرار السيادي ويضع أسسًا قوية لأي تفاوض قادم، على قاعدة الكرامة والاستقلال لا الاستجداء.

### الختام

المحادثات بين إيران والولايات المتحدة في عُمان تمثل محاولة جديدة لاحتواء الانفجار الإقليمي، لكنها تظل محاطة بالشكوك والقيود السياسية من الجانبين. وتكمن أهميتها في كونها مؤشرًا على إمكانية العودة إلى مسار التفاوض، ولو على مراحل، في ظل ميزان قوى متغير وتزايد الضغوط الدولية لكبح التصعيد.

قد لا تُفرز مفاوضات مسقط اتفاقًا سريعًا، ولكنها بالتأكيد أنتجت معادلة جديدة: الكاوبوي الأميركي بات مضطرًا لأن يحترم حائك السجاد الإيراني، لا أن يُملي عليه الشروط. وفي الشرق، حيث يُنسج التاريخ بعقدٍ متأنية لا بخطاباتٍ نارية، تعلم طهران أن التمهّل لا يعني الضعف، وأن من يتقن حياكة السجاد يعرف كيف يصنع خارطة النفوذ خيطًا بخيط.

**طهران لا تفاوض من موقع ضعف، ولا تقبل بلغة الابتزاز**

بين التفجير التكتيكي والرسائل الإقليمية،

# قراءة في عودة القسام وتصاعد الإسناد اليمني

موقع الخنادق
د. محمد الأيوبي

في قلب الجحيم المستمر منذ أكثر من عام ونصف، وسط الركام والجوع والبرد والدمار، وبين جدران رفح التي تنطق بالموت، فجّرت كتائب القسام منزلاً مفخخاً بقوة إسرائيلية متوغلة، في عملية عسكرية قد تبدو بسيطة في ظاهرها، لكنها تحمل أبعاداً مركّبة ومعقّدة تتجاوز الميدان وتلامس أعماق المشهد السياسي الإقليمي والدولي، بما فيه من زيف، واستغلال، وتواطؤ مؤسساتي. هنا، تكمن أهمية السؤال لا في "ماذا حدث؟" بل "لماذا حدث؟" وما الذي يخفيه توقيت العودة إلى هذا الشكل من العمليات النوعية؟

### الإعلام الغربي كأداة استعمار؛ من يُعرّف الإرهاب؟

منذ بداية الحرب، حرصت "إسرائيل"، مدعومة بغطاء أميركي شبه مطلق، على شيطنة كل أشكال المقاومة وتحويل غزة إلى حقل تجارب لتقنيات الحرب والإبادة، في مشهد يذكّرنا، لا عن طريق الصدفة، بتاريخ الاستعمار الغربي الذي جعل من المستضعفين حقلاً لتجريب أدوات السيطرة والخراب. لم تكن هذه الحرب استثناء، بل كانت تتويجاً لمسار طويل من هندسة الوعي وتطويع المفاهيم؛ فبينما يسمّى تدمير حي سكني على رؤوس قاطنيه "عملية نوعية"، يُنظر إلى تفجير منزل مفخخ بقوة متوغلة كفعل "إرهابي".

### التوقيت كل شيء؛ حين تختار المقاومة لحظتها

لكن كتائب القسام، حين تعود إلى هذا النوع من العمليات، فهي لا تطلق فقط رسالة عسكرية، بل سياسية واستراتيجية بالغة التعقيد. تقول فيها: لسنا محشورين في الزاوية كما يشتهي الإعلام الغربي، بل نُحسن إدارة المعركة، ونفهم قوانينها، ونُتقن توقيت الفعل. العملية، إذاً، ليست فقط تكتيكاً ميدانياً بل ردٌّ على سؤال مركزي: أين المقاومة بعد كل هذا الزمن من القصف؟ والجواب: هي موجودة، لكنها تختار متى وكيف تضرب، في توقيت يربك العدو ويقلب ميزان الخوف.

لقد حاول "الجيش الإسرائيلي" –بصيغته المعلنة– رسم معادلة مفادها أن الحسم العسكري ممكن إذا توغّل في مساحات مفتوحة يصعب الدفاع عنها، كالشرقية من بيت حانون وحي الشجاعية، لكن هذه المعادلة فشلت. فالمقاومة لا تقاتل لتكسب أراضي، بل لتكسر الإرادة. وهنا جوهر الصراع. فكما قلنا سابقًا: "في الحروب غير المتكافئة، من يكسر إرادة الآخر، هو من ينتصر، وليس من يحتل أرضًا مؤقتًا".

### كمين واحد يكفي لتفكيك صورة الجيش الذي لا يُقهر

الرسالة الثانية للعملية، تُوجّه إلى الداخل الإسرائيلي. فالعدو الذي يروّج "نهاية المقاومة" عاد ليحصي خسائره البشرية نتيجة كمين واحد. ويُقال، وإن لم يُعلن صراحة، إن التأثير النفسي على الجنود – الذين تراجع تجنيد الاحتياط في صفوفهم بنسبة ٥٠٪ – أخطر من نتائج المعركة نفسها. المقاومة تعرف، تماماً كما تعرف الأنظمة الغربية، أن ما يحرك الجيوش ليس الشجاعة، بل الأوهام، وما يوقفها هو تلاشي الوهم. وبهذا المعنى، فإن تفجيراً تكتيكياً واحداً يُعيد تشكيل الإدراك الأمني، ويُضعف الثقة بالقيادة العسكرية، ويُحرج الحكومة التي لا تملك أجوبة حقيقية سوى شعارات "النصر الكامل".

### من اليمن إلى غزة.. تكامل الجبهات وتحدي الهيمنة

أما البُعد الإقليمي في هذه المعادلة، فيأخذ شكله الأكثر وضوحاً في التصريحات المتزامنة لأبو عبيدة، التي وجه فيها التحية لأنصار الله في اليمن. هذا ليس مجرد شكرٍ

عابر، بل تأكيد على تكامل الجبهات، وتوزيع الأدوار في مواجهة مشروع إحلالي توسّعي مدعوم من أكبر إمبراطورية عسكرية في التاريخ المعاصر. وهنا، لا بد من تفكيك مفردة "الإسناد" لا على المستوى العسكري فحسب، بل كدلالة رمزية تقول: نحن لسنا وحدنا، والعدو لن يهنأ بخوض معركة بجبهة واحدة.

أنصار الله، الذين كان الإعلام العربي الرسمي يزدريهم قبل سنوات ويصمهم بالرجعية والانغلاق، أثبتوا بجدارة أنهم طرف مؤثر في المعادلة الإقليمية. فمنذ إطلاقهم أولى الصواريخ تجاه الكيان الإسرائيلي، تغيرت قواعد اللعبة، وأربكت غرفة العمليات "الإسرائيلية"، بل وأثارت قلق واشنطن التي وجدت نفسها مضطرة إلى شن هجمات شبه يومية على مواقع مفترضة لأنصار الله، في مشهد يُذكّرنا باستراتيجية "ضرب العدو في كل مكان" التي اعتمدتها الولايات المتحدة بعد ١١ سبتمبر، لكنها اليوم تصطدم بحقائق جديدة: فعدو اليوم لا يتحرك وفق منطق الدولة، بل وفق منطق الفكرة، والفكرة لا تُقصف بالطائرات.

### من يهدد العالم فعلاً؟ ؛ قلب المعادلات بين البحر والدم

المصالح هنا تتداخل. فترامب يحرص على عدم تفكيك حكومة نتنياهو، خشية البديل الأكثر تطرفاً، ويصمت على جرائم الحرب التي يرتكبها الاحتلال في غزة، لأنه يريد الحفاظ على ما يسميه "التفوق الإسرائيلي النوعي"، وفي ذات الوقت لا يريد حرباً إقليمية تشتعل على أكثر من جبهة. وبهذا المعنى، فإن إسناد أنصار الله لغزة هو في جوهره تحدٍّ لمعادلة الهيمنة الأميركية – الصهيونية في الشرق الأوسط، لا بالخطابة، بل بالفعل.

إن دوي الانفجارات في تل أبيب والقدس، ليس مجرد صوت لصاروخ عابر، بل هو تشكيك في الرواية الرسمية لسلطة تظن أنها تستطيع إخضاع الشعوب عبر القوة العسكرية وحدها. وبهذا المعنى، فإن ما يحدث اليوم يعيد صياغة أسئلة الوعي: من هو الإرهابي؟ ومن هو المجرم؟ ومن يحق له الدفاع؟

### معركة الوعي؛ من تحت الأنقاض يولد مشروع التحرر

اليوم، تحاول "إسرائيل" والولايات المتحدة تحميل أنصار الله مسؤولية تهديد الملاحة العالمية، بينما تغضّان الطرف عن تهجير الملايين في غزة، وتجويع الأطفال، وقتل الجرحى في المستشفيات. وما هذا إلا امتداد لنمط تاريخي من التواطؤ الإعلامي والسياسي، يجعل من الجلاد ضحية، ويحوّل المقاومة إلى مصدر تهديد.

لكن في المقابل، تعيد هذه العمليات بناء سردية جديدة للصراع، تنبع من الميدان وتتفوق على الخطاب الرسمي. فحين تُطلق المقاومة صواريخ من غزة، وأنصار الله من اليمن، وتقصف سرايا القدس نتساريم، ويُصاب جندي من لواء غولاني، ويتقهقر جيش الاحتلال في الشمال، فإن ما يحدث ليس مجرد اشتباكات، بل تحطيم تدريجي لصورة "الجيش الذي لا يُقهر"، وصعود لرؤية أخرى تقول إن العدالة ليست وهماً، وإن الشعوب حين تقاوم، تُربك حتى أعظم جيوش الأرض.

في النهاية، علينا أن نقرأ ما يجري لا من خلال عدسة الاستعجال بالنتائج، بل بفهم أعمق لسيرورة التاريخ. فالمقاومة لا تقيس المعركة بالأيام أو بالشهور، بل بالأثر. وإذا كانت "إسرائيل" تخوض حرباً لتأبيد نتنياهو في الحكم، فإن المقاومة تخوض معركة الوعي، وتهدف إلى إسقاط أوهام الهيمنة، وإعادة بناء الإنسان العربي والفلسطيني، لا بصفته ضحية، بل مشروع تحرّر دائم.

وهذا ما يجعل تفجير منزل واحد في رفح، رسالة أكبر من صواريخ جو-أرض؛ رسالة تقول إن إرادة التحرر لا تزال حية، وإن المعركة لم تنتهِ، بل بدأت من جديد، بسيناريوهات لا يفهمها سوى من قرأ التاريخ جيداً، وعرف أن من يسكن الأرض... لا يُهزم.